

وكان هؤلاء الاسرى يضحكون كما قيل لهم ان الدائرة ستدور على المانيا. ولم يتصرفوا مطلقاً كاسرى بل كأنهم هم الفائزون. وكانوا في الغالب يبالغون في عدد ما اغرقوه من السفن ويقولون ان الحرب ستنتهي في اول يوليو او اول اغسطس. إلا ان الذين ذكروهم من الانكليز كانوا يقولون ان الحرب تنتهي في اول نوفمبر ان لم تستنبط وسيلة لمنع فعل الغواصات وسيأتي الكلام في الجزء التالي على كيف تمكن الحلفاء من الفوز على الغواصات وايصال الجنود من اميركا الى اوربا

## عهد الساميين

(كاتب هذه المقالة الاستاذ جون بيترس الاميركي نشرها في الجزء الاخير من مجلة الجمعية الشرقية الاميركية وقد عربناها بتلخيص كثير)

الرأي الشائع الآن ان عهد الساميين او وطهم الاول هو شبه جزيرة العرب ومنه انتشروا الى هنا وهناك من بقاع المعمورة. وهذا الرأي هو ركن كل ما كتب عن تاريخ الشرق الادنى في الحين سنة الماضية وقد كنت في مقدمة القائلين به. وخيل الي ان في جملة البراهين على صحة هذا الرأي وجود علاقة لغوية او شبه بين لغة المهاجرين السابقين واللاحقين من بلاد العرب شمالاً. وظهر من التنوش والكتابات التي وجدت في شمال سورية ان المهاجرين الاولين من الاراميين الى نواحي شمال سورية اقتبسوا بعض لغة المهاجرين الساميين الذين سبقهم اليها كما ان العبرانيين والمؤابيين وغيرهم من الامم الارامية في اصلها تكلموا لغة لا تكاد تختلف عن لغة الكنعانيين. ومثل ذلك يقال عن الانباط فظنهم عرب ولكن لغتهم كانت فرعاً من اللغة الارامية التي تكلم بها المهاجرون السابقون ويقول اهل الرأي المتقدم ان المهاجرة الاولى من بلاد العرب شمالاً جرت في الالف الرابعة قبل المسيح (اي بين سنة ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠) فكانت نتيجتها توطن البابليين الساميين في شمال سورية شرقاً وغيرهم من الساميين غرباً تفصل بينهم الصحراء (بادية الشام). وفي اواسط الالف الثالثة قبل المسيح طمى سيل

آخر من سيول المهاجرة شمالاً الى بلاد كنعان فاحتلها والى يابل فبدل العنصر السامي الذي وجدته فيها بعض التبديل . ثم جاء الاراميون بعد الف سنة اخرى فنزلوا في فلسطين شرقي الاردن وغربيه وكان منهم العبرانيون والعسونيون والمثرايون والادوميون وانتشروا من هناك شمالاً في سورية والعراق وبابل واصبحوا فيما بعد من حيث اللثة والآداب العنصر الاول من جبال فارس شرقاً الى بحر الروم غرباً وامتدوا شمالاً الى جبال طورس واوغلوا في اسيا الصغرى من بعض جهاتها

وبعد ذلك بالف سنة اخرى طمى سيل جديد من سيول المهاجرة في طبيعته النبط ثم تلامم اللخميون شرقاً والنسائيون غرباً وبلغ هذا السيل ربابه بعد الف سنة اخرى في القرن السابع لليلاد اذ كان الفتح الاسلامي قد انت له اسيا من جبال طورس الى الهند ومصر وشمال افريقية والاندلس . ومنذ ذلك العهد لم تطم سيول عظيمة من سيول المهاجرة شمالاً من بلاد العرب بل كل ما جرى ان بعض القبائل العربية الرحل هاجر شمالاً الى العراق وسورية وبابل لا ليقم بها بل لينقل من مكان الى مكان في طلب الكلأ لساعتها

وقد زعموا ان القبائل الرحل هي التي تهاجر الى البلاد المتمصرة العامرة وحسبوا لذلك بلاد اسيا الوسطى وبلاد العرب التي سكانها قبائل وحل مثلاً للاقاليم التي هاجرت منها القبائل البادية الى كل ناحية ووجهة منذ القدم . وبناء على هذا الرأي ظنوا ان الذي حدا اهل اواسط اسيا وبلاد العرب على مهاجرة اوطانهم الاصلية ازدهانها بالسكان والماشية الى حد انها لم تعد تخرج من نباتها ما يكفيهم . ومنهم من زعم ان المهاجرات كلها معاشية في سببها وصفها . والحقيقة ان الزحام يشتد في بلاد الحضرة اشتداده في بلاد البدو بل اكثر . نعم ان القبائل البادية تميل الى المهاجرة من فطرتها ولكن يظهر من البحث في هجرات الشعوب الكبرى التي نعرفها ان الذين قاموا بكثير منها لم يكرهوا رحلاً بمعنى من المعاني

ثم ان الهجرات كما نعرفها لم تنشأ على الدوام لاسباب معاشية . صحيح ان لحب التفتح وجهاً معاشياً ولكن لا يصح حسانته سبباً معاشياً وبمباراة اخرى ان الشعوب التي تدوخ البلدان وتفتحها لا تفعل ذلك بالضرورة لان اوطانها ضاقت

بها . فان سيل المهاجرة من اسيا الصغرى واليهالم يكبد ينتطع في زمن من الازمان وكثير من هذه الهجرات سببها حب التفتح وقليل منها قامت به قبائل رحل . والذي نعلمه ان الشعوب التي غزت اسيا الصغرى ودخلتها فاتحة كانت على الغالب ارقى بكثير من القبائل الرحل في درجة حضارتها . وهذا الحكم يصح ايضاً على الغزوات الاوربية وحركات اممها المختلفة . فقد كانت حركة المهاجرة فيها في القرون المتأخرة من الشرق الى الغرب ذاتياً ولكن ثمة ما يدل على ان حركة المهاجرة كانت فيها قبل ذلك المهد من الغرب الى الشرق . ففي القرن الثالث قبل المسيح هاجر الفاليون شرقاً ونزلوا غلاطية في اسيا الصغرى . ومنذ القرون الوسطى جعلت القبائل الجرمانية تهاجر شرقاً الى البلدان العنقبية

ولنشر الآن فيما عندنا من الادلة على حركات الشعوب السامية منذ قديم الزمان فنقول ان الادلة التي عندنا تناقض الرأي القائل ان العرب هاجروا من بلاد العرب جملة قبل هجرة الانباط منها . فقد جاء في التوراة وفي التقاليد العبرانية ان الاراسيين اسلاف العبرانيين جاؤوا من الشمال اي من بين النهرين وكذلك الامم التي بينها وبين العبرانيين صلة نسب قريب اعني العمونيين والمثويين والادوميين جاؤوا في الاصل من بين النهرين ومرثوا بفلسطين في طريقهم الى مصر وان وطنهم ليس صحراء العرب جنوبي فلسطين والى الجنوب الشرقي منها بل بلد آخر بعيد في الجهة المقابلة .

واول الرحلات من الجنوب في جهة الشمال بدأ في القرن السادس قبل المسيح على ما في التوراة . فانه بعد رجوع الاسرائيليين من المي ونعادة المملكة اليهودية وجدوا الادوميين نازلين في الجزء الجنوبي من اليهودية وقد احتلوا مدينتي حبرون ومريه لان النبطيين من سكان شمالي بلاد العرب كانوا قد اجلهم عن ارضهم جنوبي يهوذا . ثم جعل النبطيون يتقدمون شمالاً شيئاً فشيئاً حتى امتدت مملكتهم في القرن الاول للميلاد من شمالي دمشق الى داخل بلاد العرب جنوباً ومن شرقي الاردن الى القمرات

هذا ما جاء في التوراة عن حركات الشعوب السامية في فلسطين وما حوطها . ويؤخذ من مصادر اخرى انه تلت هجرة النبط هجرة اخرى من بلاد العرب افقت

الى انشاء مملكة الفاتيين في حوران غربي بادية الشام (حيث البلقاء الآن) ومملكة اللخمين وعاصمتها الحيرة شرقي الصحراء وعلى حدود بابل . ثم جاءت فتوح الاسلام العظمى في القرن السابع للميلاد ولم تتلها حركات اخرى ذات شأن يذكر الا ما كان من حركات قبائل عذرة وشمر وغيرهما مما لم يفض الى فتح حقيقي للبلاد الواقعة شمالي بلاد العرب او لاستيطانها على الدوام

وتشهد الآثار والمعاديات بان الساميين دخلوا فلسطين نحو سنة ٢٥٠٠ قبل المسيح . وهناك ادلة اخرى تدل على انه كان يقطن ارمينية شرقاً شعب سامي منذ القدم . ومن هذه الادلة ان اللغة الارمنية فرع من فروع اللغات الهندية الاوربية في حين ان الارمن اتسهم ساميون بديل شدة شبههم باليهود في ملامحهم . نعم ان بين الامتين افراداً كثيرين يختلف بعضهم عن بعض كل الاختلاف في الملامح ولكن الغالب ان التمييز بين الامتين اجمالاً يقتضي نظراً دقيقاً ودراسة كثيرة . فقد تجد بين الارمن كثيرين نظهم من سكان الهنداي من السلالة الهندية الاوربية لشدة شبههم باعضائها وتجد بينهم ايضاً كثيرين يشبهون النمر المغول في شكلهم وملامحهم ولكن الارمني الذي هو نموذج قومه لا يكاد يتميز عن اليهودي الذي هو نموذج اليهود . والاثان يشبهان صور الاشخاص في النقوش الاثورية حتى لو اخذت صورة من هذا الصور وعرضتها على خبير لنظها صورة ارمني او يهودي من معاصرتنا . ومن غريب ما شاهدت ان العرب وهم ساميون يستطيعون تمييز اليهودي عن العربي من ملامحها ولكنهم لا يستطيعون تمييز الارمني من اليهودي اكثر مما استطعت انا

وزد على هذا كله ان الارمن واليهود متشابهون في صفاتهم واخلاقهم العقلية والادبية وفي محافظتهم على قوميتهم فوق ما بينهم من الشبه الطبيعي . فقد غزت امم مختلفة الارمن منذ اول عهدنا بالتاريخ فابادت معالم لغتهم وديانتهم وحضارتهم ولكنها لم تستطع ان توصل اليهم هم اذى لانهم حافظوا على قوميتهم وابتلعوا قاهريهم كما ابتلع هؤلاء لغتهم وحضارتهم وديانتهم . وهذا اعظم دليل على ان ارمينية كانت فيما مر من الزمن بلداً سامياً سكاناً قوم يتكلمون لغة هندية اوربية وهم اتسهم شديدو الشبه باليهود في هيئتهم وشكلهم

ويلاحظ لي ان الادلة التي عندنا الآن تدل على ان اسيا الصغرى وفي جملتها ارمينية او اسيا الصغرى والبلاد الواقعة جنوبيها من جبال طورس الى انترات هي موطن الساميين الاول . ومن هذه البلادها جر جنوباً الساميون الجنوبيون في زمن قديم جداً فدخلوا افريقية وامتزجوا بامة بيضاء في الشمال وامة سوداء زنجية في الجنوب فنشأت الامة المصرية من هذا المزيج . وفي الوقت عينه انحدر الساميون الجنوبيون الى بلاد العرب فانشأوا فيها وفي الجزء الجنوبي منها خاصة بممالك ربيعة الحضارة كثيرة الثروة وعبر قسم منهم بوغاز باب المنذب الى اثيوبيا ( الحبشة ) . اما الذين دخلوا شبه جزيرة العرب منهم فبقوا سادة طويلة كأنهم محصورون فيها . وحال دون هجرتهم شمالاً قيام دولتين قويتين الى الشمال الشرقي والشمال الغربي الاولى الدولة السامرية ( Sumerian ) والثانية الدولة المصرية فتناك الدولتان وما بينهما من الصحراء المترامية الاطراف وقتت سداً منيعاً دون هجرة الساميين الجنوبيين شمالاً فانشأوا لاقسامهم صنفين من اللغة والمدينة الواحد العربي الشمالي والثاني العربي الجنوبي

وهذا الاسر اي دخول الساميين بلاد العرب وعزلتهم فيها لا بد ان يكون قد جرى في زمن متوغل في التقدم بدليل ان الامة المصرية كانت قبل ختام الالف الرابعة ( قبل المسيح ) قد تكونت من المزيج المذكور آنفاً ولم تتبدى الالف الثالثة حتى كانت مصر قد شبت وتعرعت وتفتت فامتلكت سيناء ولم تحسب للاجانب حساباً ونظرت الى القبائل القليلة النازلة على حدودها الشرقية نظرة الامة ان لا يحطاطها في سلم العمران

وقاية هذا المقال ان الدلائل اللغوية والاثرية والتاريخية التي لدينا الآن تدل على ما يظهر ان موطن الامة السامية الاول ليس بلاد العرب جنوباً بل اسيا الصغرى شمالاً والبلاد التي الى الشرق منها . وان الساميين ما زالوا منذ اوائل التاريخ ينحدرون جنوباً واول بلد استوطنوه بعد تحضرهم هو الصنعع الواقع جنوبي جبال طورس من بابل شرقاً الى سورية غرباً . وفي ذلك العهد كانوا قد اخذوا يتحدلون جنوباً والمزيج ان وظهر الاول كان الى الشمال والشرق وان ارمينية كانت جزءاً منه